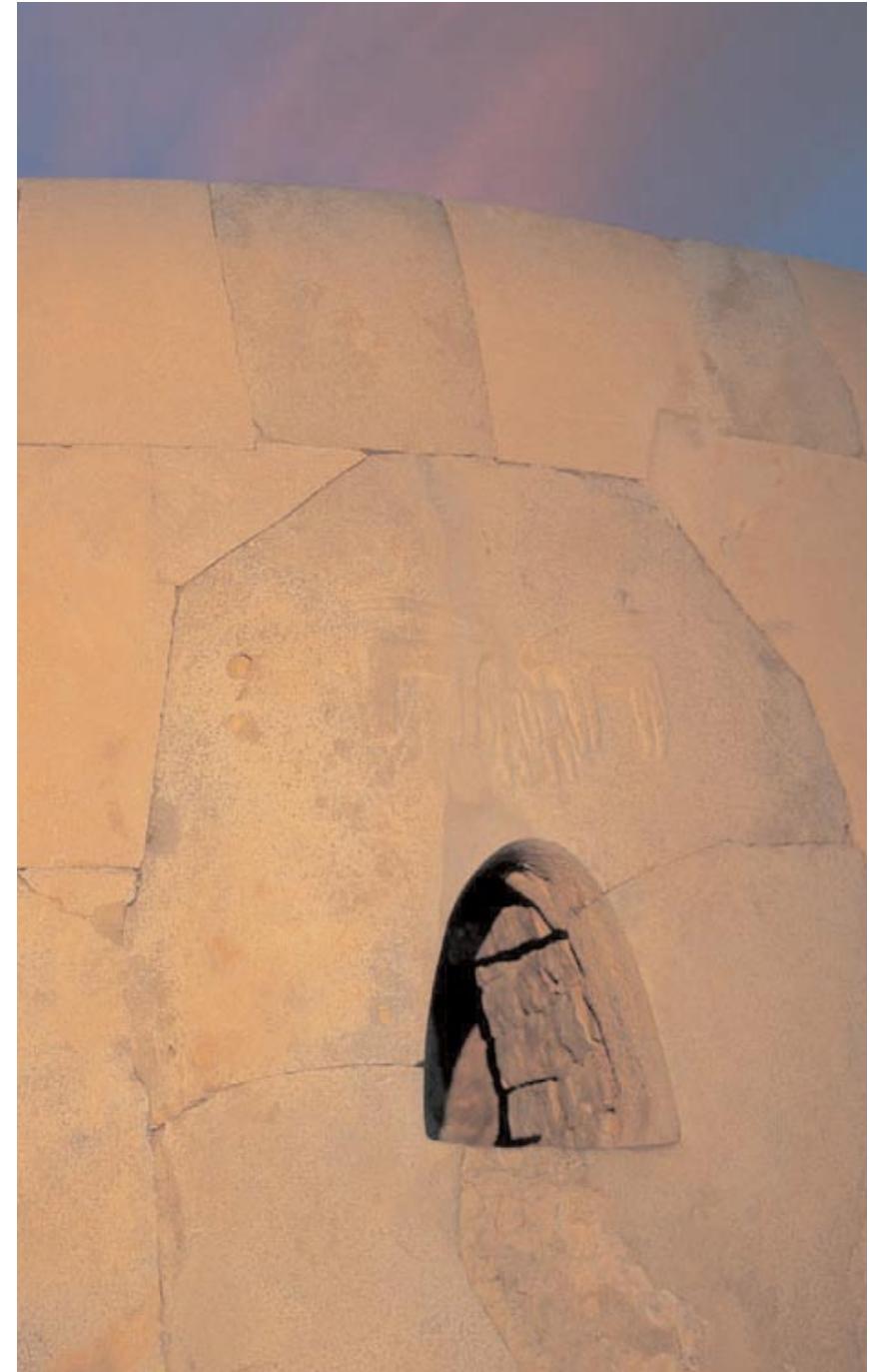




لمحات من التاريخ القديم



السجل الاثري لدولة الامارات :

٣١ عاماً من الاكتشافات

إن قلة من الناس يمكن أن يتخيّلوا، إن دولة الامارات التي قامت في الثاني من ديسمبر ١٩٧١، تمتلك إرثاً تاريخياً يُعتدّ به، أو أن هذا الكم الهائل من الاكتشافات الأثرية الهامة يمكن أن يتحقق في هذه الفترة الزمنية الوجيزة. فمنذ الايام الأولى لتوليه مقايد الحكم كرئيس للدولة الناشطة الفتية، كان اهتمام صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ومحماسه لفهم كل ما يتعلق بهذه الأرض الطيبة وشعبها ايداناً ببداية الاهتمام والحرص على سبر أغوار هذا الماضي العريق، وكشف النقاب عن ما طواه الزمن واندر تحت هذه الأرض. وشهد العقد الماضي تواصل مسيرة البحث الاثري بخطى ثابتة ومتسرعة مما اسفر عن العديد من الاكتشافات الأثرية الهامة التي تضمنها حالياً المتاحف الاثرية في انحاء البلاد كافة. واليوم، يمكن لشعب الامارات ان يشعر بالفخر والاعتزاز بهذه الاكتشافات التي تعبر عن تاريخ وماضٍ اثري عريقين، يزيل كل الافكار التي تشكيك في عدم اهمية هذه المنطقة من الناحية التاريخية. فإذا كان ما يشاع صحيناً، فلماذا اذن تكبد قダメاء الاكدين او الاخمينيون او الاباطرة الساسانيون مشقة توسيع حملاتهم العسكرية ومحاولة مد نفوذهم الى هذه المنطقة؟ إن عدم وجود سجل محلي مكتوب مقارنة بالسجلات المسماوية الاشورية في بلاد مابين النهرين، او الحروف الهيروغليفية الفرعونية، يجب ان لا يعمي ابصارنا عن حقيقة ان منطقة ما يعرف باليوم بدولة الامارات كانت في العصور القديمة جزءاً من الحضارة المتنوعة والمترعدة العناصر لمنطقة غرب آسيا القديمة، غنياً بالموارد وهاماً من الناحية الاستراتيجية.

تراث الجزيرة العربية (٣٠٠ - ٥٠٠ ق.م)

انهار العصر الجليدي الاخير قبل حوالي ١٠٠٠٠ عام ونيف، وكانت الاحوال الراهنة نوعاً ما التي اعقبته خلال الفترة من ٨٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م، توصف في احياناً كثيرة كظروف مناخية مثلى. فخلال هذه الفترة بالتحديد ظهرت اول مستوطنات بشريّة مؤرخة في هذه المنطقة. وتم العثور على أدوات حجرية متعددة تعود الى مكان يسمى «تراث الجزيرة العربية المتعدد الاوجه»، في عدد كبير من المواقع في مناطق بيئية واسعة النطاق في جميع انحاء الامارات. وتشهد رؤوس السيوف الحادة، والرقلائق والصفائح المعدنية، والانصال والمدى والأدوات الأخرى على تنوع الأدوات التي كان يستخدمها المستوطنون الاولئ الذين ربما كانوا رعاة يمارسون الصيد احياناً لتكميل وجباتهم أكثر مما هم صياديون لا يملكون الكثير من الحيوانات الاليفة المنزلية.

وقد تم ايضاً اكتشاف اوني فخارية ملونة مستوردة من بلاد وادي الرافدين في عدد من المواقع الساحلية في دولة الامارات، والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وقطر والبحرين وجزر الكويت، كشفت عن وجود اتصالات بين هذه المناطق وشعوب جنوب العراق

لمحات من التاريخ القديم

تمتلك دولة الامارات العربية المتحدة إرثاً غنياً ومتنوّعاً يتضمن تاریخاً ضارباً في القدم من المستوطنات البشرية وتنوعاً في البيئات الطبيعية والحياة البرية الحيوانية والنباتية، هذا بالإضافة الى تراث وتقاليد بشري حيوي من الموسيقى والأدب، والشعر، والصناعات اليدوية والشخصية الفريدة لشعبها. وخلال فترة التنمية والازدهار التي شهدتها دولة الامارات على مدى واحد وثلاثين عاماً من عمر المسيرة الإتحادية بقيادة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، كان سمهوه حريصاً على غرس روح الاحترام لهذه الخصائص المميزة لطبيعة الامارات، وهي أشياء لا تقدر بثمن ولا يمكن شراؤها بالمال، لأنها تشكل حجر الأساس لبناء الأمة. وكانت البداية اهتمام سمهوه بمعرفة المزید عن تلك الشعوب التي استوطنت ارض الامارات قبل آلاف السنين ومنذ فجر التاريخ والحضارة. وعلى الرغم من الأولويات الاقتصادية وعمليات التقسيب عن النفط والماء، إلا انه كانت هناك ايضاً اهتمامات إجتماعية وفكيرية قوية فيما يتعلق بالآثار والحياة البرية.

ويوجد بدولة الامارات أكثر من ٣٣٠ مبنياً وموقعًا اثرياً وتراثياً. وقد شرعت وزارة الإعلام والثقافة مع بداية العام ٢٠٠١ في إعداد أول مشروع قانون اتحادي للآثار يهدف الى تسجيلها وحمايتها. وأكد سمو الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان وزير الإعلام والثقافة في كلمة وجهها سمهوه يوم ١٨ مارس ٢٠٠١ الى اللجنة المختصة بمناقشة مشروع هذا القانون.. «إن الآثار تعكس صورة حية لحضارة الدولة وتاريخها القديم، وأن أيّة دولة لا تهتم بتاترها لا تهتم بحضارتها ولا بتاريخها».

واستضافت دولة الامارات في مدينة ابوظبي خلال الفترة من ١٥ الى ١٨ ابريل ٢٠٠١ المؤتمر الدولي الأول لآثار الامارات الذي نظمه مركز زايد للتراث والتاريخ بالتعاون مع وزارة الإعلام والثقافة، وشارك فيه ٤٠ عالماً ومتخصصاً في آثار الخليج من مختلف دول العالم، بأكثر من ٤٥ ورقة عمل وبحث أجمعوا على أن المنطقة كانت واحدة من أهم مناطق الجزيرة العربية التي لعبت دوراً مهماً في تطور الحضارة البشرية منذ أكثر من أربعة الاف عام. كما أكدت مداولات المؤتمر أن دولة الامارات تنتشر فيها الكثير من المواقع الأثرية الممثلة للعصور الحجرية خاصة المستوطنات والمدافن في المنطقة الساحلية قرب ابوظبي ورأس الخيمة ومضيق هرمز، حيث تشير هذه المكتشفات الأثرية الى وجود حياة حضرية مستقرة تأثرت بالحضارات المجاورة مثل حضارة وادي الرافدين والسدن وبيلاد اليمن.

وتضطلع بمهام التنقيبات عن الآثار في الدولة، العشرات من الفرق الوطنية والبعثات الأثرية العربية والأجنبية من بينها بعثات من العراق وبريطانيا وألمانيا وفرنسا واليابان وأسبانيا واستراليا.

ذلك الحبوب والخضروات والفاكهه. ولدى ظهور البساتين الى الوجود والتي تروي من مياه الآبار العذبة الموجودة في العديد من المناطق في دولة الامارات، تم وضع حجر الاساس لتنمية انماط الحياة في الواحات والتي كانت تميز مستوطنات الاوية في المنطقة. ولعبت حيوانات الرعى كالاغنام والمااعز والماشية دورا هاما في تنمية وتطوير إقتصاد الواحات، إلا ان ايا من الاصناف الاخرى لم تكن بمثل اهمية اشجار النخيل في هذه العملية.

وهكذا، فقد قامت القرى الزراعية الأولى في دولة الامارات على اساس زراعي، ولكي يوفروا الحماية لاستثماراتهم في الارض والماء والموارد الطبيعية، ربما شعر سكان هذه القرى بأنهم مضطرون لبناء تحصينات هائلة. وظهرت هذه المبنائي لأول مرة في منتصف العصر الالفي الثالث قبل الميلاد وتشبه من الناحية المعمارية مبني ما تسمى بفترة ام النار (٢٥٠٠ ق.م - ٢٠٠٠ ق.م). وقد تم اكتشاف نماذج من قلاع فترة ام النار في موقع الهيلي^١، والهيلي^٨، والبدية وتل ابرق وكلباء، وبينما يتراوح قطر معظمها بين ٢٥ الى ١٦ مترا، فإن قلعة تل ابرق التي يبلغ قطرها ٤٠ مترا تعتبر الابكر والتي لم يكشف النقاب عنها بعد.

وبصفة عامة، كان موتي فترة ام النار يدفنون في مدافن دائيرية تواجهها كل من الحجارة المربعة المنحوتة المبنية، على الرغم من وجود غرف مستطيلة ربما تكون من أجل اعادة دفن ثانية للعظم من المدافن الدائرية التي امتلأت عن بكرة ابيها. واكتشفت نماذج مدافن ام النار الدائرية لأول مرة من قبل بعثة تنقيب دنماركية على جزيرة ام النار في ابوظبي في العام ١٩٥٨.

وهكذا منحت الجزيرة اسمها للفترة التي كانت تميزها هذه المدافن. وبحلول العام ١٩٩٥ تم اكتشاف نماذج من مدافن ام النار في المناطق الساحلية والداخلية في ابوظبي (جزيرة ام النار، ومنطقة الهيلي)، ودبى (الصحف وحشا)، وعجمان (المويهات)، وام القيوين (تل ابرق)، ورأس الخيمة (شمال ووادي المونيعي). وتظهر النماذج المحفوظة جيداً لأن مئات الأفراد قد دفنتوا في هذه المدافن مع سلسلة واسعة من المعدات بما في ذلك طاسات من الحجر الناعم، وأواني فخارية منزلية من الخرف الاسود/الاحمر من الصناعة المحلية، وأواني فخارية منقوشة باللون الرمادي ومطلية بلون اسود رمادي من جنوب شرق ايران او بلوشستان، واسلحه نحاسية/برونزية، ومصنوعات شخصية مثل الاسورة والقلائد تحتوى على الاف الخرزات بعضها من وادي السند، اضافة الى أدوات رائعة اخرى كالمشاط العاجية ومصابيح من الجبس وملابس كتانية. وكان أكثر شيء مثيراً للدهشة في مدفن تل ابرق اكتشاف رفات شابة في العشرين من عمرها كانت مصابة بشلل الاطفال، وهو ما يعتبر اول حدوث مؤكّد على الاطلاق لهذا المرض في السجلات الارثية في اي مكان آخر في العالم.

واظهرت الحفريات في موقع السماح في رأس الخيمة وجود ارصفة حجرية تتكون من منصات مرتفعة ومقابر تحت الارض تعود ايضا الى فترة ام النار وفقا للمكتشفات التي عثر عليها بداخلها. وتدل هذه المعالم الارثية التي قورنت بالاعمدة الثلاثية القوائم والارصفة المرتفعة المنصات في جنوب وغرب شبه الجزيرة العربية، على وجود درجة من التنوع الحضاري في اواخر العصر الالفي الثالث في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، لا يزال يتعين التتحقق منه بصورة كافية.

في العصر الالفي الخامس قبل الميلاد. ولعله من المهم تأكيد حقيقة ان جلب هذه الفخاريات الى المنطقة لم يؤد ب المباشرة الى نشوء صناعة فخار محلية، وهو امر لم يظهر حتى القرن الالفي الثالث قبل الميلاد.

وقد توصلت التنقيبات الارثية التي أجرتها دائرة الآثار في الشارقة بالتعاون مع بعثة الآثار والانثروبولوجي الألماني لعدة سنوات في موقع جبل البحيص والتي أعلنت نتائجها الأولية في ٢٥ ابريل ٢٠٠١ الى ان هذا الموقع يعود تاريخه الى ٧ آلاف سنة قبل الميلاد ويمثل مستوى في عصر ما قبل التاريخ، وعثر فيه على بقايا المستوطن التي تمثل في تركيبات حجرية بسيطة ومواقد نيران كثيرة ومقدمة واسعة تجاوز عدد الهياكل العظمية فيها ٦٠٠ هيكل عظمي، بالإضافة الى جمجمة بشريّة تبيّن بعد نتيجة الدراسات التي أجريت عليها أن صاحبها قد أصابه ورم في الدماغ وأجريت له عملية لاستئصال هذا الورم. وأكدت نتائج التنقيبات الارثية أن هذه الاكتشافات تمثل وجدة مقبرة تُعد من أقدم المكتشفات في جنوب شرق الجزيرة العربية، وتم استخدامها من قبل أقدم مستوطنين في هذه المنطقة خلال الفترة من ٥٢٠٠ الى ٤٢٠٠ قبل الميلاد حيث عاش الناس في هذه المرحلة معتمدين على الزراعة وبعض الحيوانات المدجنة، وإن هذا الموقع لم يكن المستوطن يقيمون فيه بشكل دائم بل حسب المواسم، إلا أنه كان مهما جداً والسبب في ذلك انه كانوا يدفنون موتاهم فيه.

اواخر العصر الالفي الرابع ومطلع القرن الالفي الثالث قبل الميلاد (٣١٠٠ - ٢٥٠٠ ق.م)

وظهرت لأول مرة مدافن جماعية في شكل مقابر فوق الارض، مشيدة من حجارة غير مصقوله في موقعين في دولة الامارات العربية المتحدة هما جبل حفيت (بمافي ذلك مزيد) وجبل املح. وتعتبر هذه المدافن التي سميت على الموقع الذي اكتشفت فيه لأول مرة، غير مسبوقة بأكملها في التسلسل الاثري المحلي. وهي تتضمن فخاريات من نوع عصر جمدت نصر في بلاد وادي الرافدين. واضافة للفخاريات، عثر ايضا على خرزات مستوردة مربعة عظمية او عاجية مع ثقين مائلين. واليوم، لا يزال يتعين اكتشاف المستوطنات السكنية المطمورة في مدافن حفيت التي تعتبر نموذجاً لمناطق جنوب شبه الجزيرة العربية (توجد نماذج ايضاً الى الجنوب في عمان). وعلى الرغم من انه لا يوجد دليل مادي بعد، الا انه يفترض عموماً بأن تجارة النحاس كانت هي الدافع وراء الاتصالات التي تمت بين الامارات وجنوب وادي الرافدين في عصر جمدت نصر.

منتصف واخر القرن الالفي الثالث قبل الميلاد (٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م)

كانت المستوطنات الزراعية في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية تعتمد على زراعة اشجار النخيل. وبدون هذه الاشجار، لا يتوفّر الظل اللازم لنمو المحاصيل الزراعية الاخرى بمافي

مطلع و منتصف العصر الالفي الثاني (ق.م ١٢٠٠ - ٢٠٠ ق.م)



كان يُعتقد، لعدة سنوات، بحدوث استمرارية رئيسية في التسلسل الأثاري لشبه جزيرة دولة الإمارات العربية المتحدة/عمان في نهاية القرن الالفي الثالث قبل الميلاد. وحقيقة الامر ان العدد الإجمالي لمستوطنات اوائل العصر الالفي الثاني في دولة الامارات لم يكن كبيرا، بيد انه ومن خلال تلك المستوطنات التي تمت دراستها، كتل ابرق وايضا من المؤشرات السطحية في موقع مثل ند الرزبة في رأس الخيمة، يتضح ان بعض المراكز السكانية كانت مأهولة بصورة متواصلة طيلة الوقت، ولم تظهر اي علامات «لتدهور» حضاري. وفي تل ابرق، على سبيل المثال، ظلت القلعة الضخمة التي تعود لعصر ام النار مستخدمة حتى منتصف العصر الالفي الثاني قبل الميلاد مع بعض التعديلات على الهوائط الخارجية وإنشاء مبان جديدة في الداخل. واصافة لهذه التعديلات الهندسية المعمارية، لوحظ حدوث تغيير رئيسي في غذاء سكان الموقع، حيث اصبح السمك والمحار أكثر اهمية مما كانا عليه في اواخر العصر الالفي الثالث قبل الميلاد، ويشكلان حول ٥٠٪ من جميع المتطلبات الغذائية. كما لوحظ ايضا تحول مماثل من استغلال الحيوانات البرية الى الموارد البحرية في منطقة «شمال» حينما ينتقل المرء من اوائل الى اواخر العصر الالفي الثاني قبل الميلاد. إن مستويات فترة وادي سوق الاخيرة تواظبها المستوطنات المأهولة في منطقة شمال في رأس الخيمة، حيث كانت تقع منطقة سكنية في أسفل جبال الحجر وعلى مرمى البصر من بحيرة اشجار القرم القديمة. وتشتهر منطقة شمال والموقع القريب منها مثل غليلة وضایة بمدافنها الجماعية العديدة التي تعود الى فترة وادي سوق. اضافه لذلك فان المدافن تحت الأرض الشبيهة بحدود الحصان في وادي القرم في جنوب رأس الخيمة وواحة قدفع في الفجيرة لابد ان تعود ايضا الى فترة وادي سوق، وكذلك المدافن الشبيهة بحرف T كذلك التي اكتشفت في ضایة البشنة. علاوة على ذلك فان المدافن المحفورة في داخل السبخة في منطقة القصيص في دبي تتضمن ايضا العديد من تلك التي تعود الى فترة وادي سوق.

وكانت فترة وادي سوق جديرة بالملاحظة والاهتمام بسبب ازدهار صناعة الحديد فيها. وعلى الرغم من أن آثار تلك الفترة تعرضت للسرقة والنهب، الا ان بعض مدافنها كتلك التي تشبه حدود الحصان في منطقة قدفع استخرجت منها مئات القطع من الاسلحة والوانني. وبينما تميزت فترة ام النار بالخناجر والرماح، شهدت فترة وادي سوق إنتاج السيوف الطويلة والاقواس والسهام، ونوعاً جديداً وخفيفاً من رؤوس الرماح. ويوحى ظهور هذه الاسلحة، الى جانب المئات من رؤوس السهام البرونزية الحادة الاطراف بتطور في تقنية الحرب خلال العصر الالفي الثاني قبل الميلاد غير مسبوقة في السجل الاثري المبكر في المنطقة.

نشأت في اواخر العصر الالفي الثالث قبل الميلاد صناعة الاواني الصخرية الناعمة من طاسات واكواب وصناديق مقسمة الى اجزاء مزخرفة بدوارق منطقة. وخلال فترة وادي سوق تزايدت اعداد الاواني الصخرية الناعمة المودعة في المدافن، كما ان الاشكال الجديدة

بالاضافة الى النقوش والخطوط المائلة والاقفيّة العنقودية الشكل اتاحت بسهولة فصل الاواني الصخرية الناعمة الاخيرة عن سبقاتها في العصر الالفى الثالث قبل الميلاد.

واظهرت الدراسات التي اجريت على اسنان الموتى المدفونين في موقع شمل ان نسبة ترسوس الاسنان لم تكن عالية في اوساط سكان المنطقة الامر الذي قد يعكس انهم كانوا يعتمدون في غذائهم على الاسماك والمحار وربما بعض التمور إن وجدت. وقد توفرت بعض المؤشرات على تكسس للثروة خلال فترة وادي سوق من خلال صنف مثير للاهتمام من البروشات الذهبية والفضية/الذهبية (الاكتروم) في شكل حيوانين يقان ظهرها لظهور، وذيلاهما ملفوفان بطريقة حلزونية في كثير من الاحيان. وهناك نماذج معروفة منها الان في ضية والقطارة والبدية. وربما نجمت بعض هذه الثروة عن تجارة النحاس مع الخارج، وهي سلعة اشتهرت ديلمون (البحرين) ببيعها بالتجزئة الى سوق مدينة اور التجارية في جنوب شرق بلاد وادي الرافدين في مطلع العصر الالفى الثاني قبل الميلاد.

ان اكتشاف أكثر من ستمائة من كسور الاواني الفخارية البربرية الحمراء الاصلع، والتي ظهر الان انها تطابق فخاريات مستوطنة سعر AAA في البحرين يشير الى وجود اتصالات في ذلك الاتجاه. علاوة على ذلك، كان لدى تل ابرق وشمل على حد سواء فخاريات تعود لما بعد فترة (هاربان HARAFAI) في نصوص مطلع العصر الالفى الثاني الامر الذي يوفر الدليل على وجود اتصالات مستمرة مع وادي السند في ذلك الوقت.

اواخر العصر الالفى الثاني الى اواخر العصر الالفى الاول قبل الميلاد (١٢٠٠ - ٣٠٠ ق.م)

حدثت عدة ابتكارات في اواخر العصر الالفى الثاني قبل الميلاد أدت الى إحداث ثورة في إقتصادات جنوب شرق شبه الجزيرة العربية. وغني عن القول ان ترويض الجمل الذي شهدته نهاية العصر الالفى الثاني قبل الميلاد في تل ابرق كان فاتحة لاماكنيات جديدة في مجال النقل البري، بينما أدى اكتشاف نظام الفلج لنقل المياه من الطبقات الصخرية المائية الى الجنائن عبر قنوات الى امكانية التوسيع في رى الجنائن والاراضي الزراعية مما نجم عنه انفجار حقيقي في الاستيطان عبر شبه جزيرة الامارات/عمان.

وتقليدياً كان يشار الى الفترة من ١٢٠٠ ق.م الى ٣٠٠ ق.م «عصر الحديد». بيد انه ليس هناك تعبير أقل ملاءمة من هذا، حيث ان الحديد لم يستخدم في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية حتى الفترة التالية.

وباستثناء مدفن في السماح في رأس الخيمة يحتوي على مواد من العصر الحديدي الاول، فان جميع الادلة الخاصة بالعصر الحديدي الاول تأتي من الموقع الساحلي الخليجي في موقع شمل، وتل ابرق، وسلسلة من ركام المحار في موقع الحمرية في الشارقة. هذا وقد توصلت اهمية السمك والمحار في طعام سكان العصر الحديدي الاول، على الرغم انهم كانوا يربون الضأن والماعز والماشية الاليفة، كما انهم استغلوا ايضا الغزلان، والمها العربية،



فترة مليحة (واخر ما قبل الإسلام) ٣٠٠ سنة قبل الميلاد

لا بد أن اضمحلال الإمبراطورية الفارسية كانت له آثار وتداعيات على منطقة جنوب شرقشبه الجزيرة العربية، حيث انه مع هزيمة داريوس الثالث وموته، لم تعد منطقة ماجان ولامية فارسية تخضع لحكم مربزان. وعلى صعيد آخر لم تشمل فتوحات الاسكندر الأكبر الجانب العربي من الخليج. وعلى الرغم من انه ورث الجزء الأكبر من الإمبراطورية الأخمينية، فإن الخطط الأخيرة للقائد المقدوني والتي تضمنت غزو شبه الجزيرة العربية، لم تقدم مطلاً فيما وراء مرحلة الاستطلاع الأولية. وهكذا، وبحلول القرن الثالث قبل الميلاد كان جنوب شرق شبه الجزيرة العربية متحرراً من النفوذ السياسي الاجنبي. وانه يتعين النظر للتغيرات التي شهدتها القرون اللاحقة من خلال هذا الواقع، ذلك ان ايام خلفاء الاسكندر الأكبر لم يتمكن من فرض سيطرة الاغريق في هذه المنطقة. وباستثناء مليحة التي كانت مستوطنة تمتد لعدة كيلومترات على سهل من الحصبة جنوب الذيد، لا توجد اي مستوطنات اخرى يمكن ان تنساب الى هذه الفترة وتمثل مستوطنات مليحة استقرار الإنسان بصورة متواصلة في منطقة تتتوفر فيها مقومات الحياة من ماء ووسائل رى جيدة منذ اواخر عصر ما قبل التاريخ. ويلاحظ ان المستوطنات التي قامت في وقت مبكر من فترة ما بعد العصر الحديدي شيدت من سعف النخيل والمواد المحلية الاخرى لتتناسب الطقس الحار لشبه جزيرة الامارات/عمان. بيد ان الموتى كانوا يدفنون في مقابر أكثر تماسكاً وقومة باستخدام الأجر الطيني تطعوها ابراج صلبة من الاجر تتوجها شرفات حجرية مزخرفة. وتذكرنا هذه البقايا، التي لم تكن لها سابقة في المنطقة، بالقلاء التي استخدمت كمدافن في تدمر، وقرية الفاو، وفي الفترات الاولى في البتراء. كما نجد ان هذه المستوطنات والمدافن على حد سواء قد حفلت بكثيارات من الاواني الخزفية، كان من الواضح ان بعضها تم تصنيعها محلياً بعد ادخال بعض التعديلات على النقوش التي كانت سائدة ابان العصر الحديدي، والبعض الآخر تم استيرادها من خارج المنطقة وتتضمن الخزف اللامع والتي يبدو انها من إنتاج جنوب غرب ايران او جنوب العراق، بالإضافة الى الاواني الحمراء والسوداء التي يعرف من شكلها انها آتية من شمال شرق شبه الجزيرة العربية، او جزر البحرين او فيلكا المجاورة، هذا الى جانب اوانی خزفية اغريقية مستوردة من بحر ايجه او البحر الابيض المتوسط. وتذكرنا بعض الاواني كالاباريق المصنعة من البرونز المحفور واخرى مرمرية على شكل خلايا التحل عثر عليها في مليحة ٢ ببعض النماذج من جنوب شبه الجزيرة العربية، وهذه حقيقة هامة فيما يتعلق باستعادة العديد من المواد (اعمدة حجرية، وطاسات برونزية) تعود الى منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية شأنها شأن عدد من القطع النقدية المعدنية التي تم العثور عليها في سطح الموقع.

إن أحد أكثر الابتكارات التي تميز اواخر عصر ما قبل الإسلام هو ظهور الحديد لأول مرة في السجلات الاثرية لمنطقة جنوب شبه الجزيرة العربية. فالى جانب المواد المفيدة كالمسامير، استخدمت ايضاً السيفون الطويلة ورؤوس السهام. وسواء تم تصنيعها محلياً أم

والاطوم والسلاحف وطيور الغاق. الى جانب ذلك كانوا يقومون بزراعة القمح والشوفان، وظلت اشجار النخيل هامة كالعاده.

كان العصر الحديدي الثاني هو العصر «الكلاسيكي» الحديدي في دولة الامارات، وتشهد على ذلك الحفريات التي كشفت عن عدة مبان من الأجر الطيني في عدد من المواقع كالرميله، وبنت سعود، والهيلي ٢، والهيلي ١٤، والهيلي ١٧ في منطقة العين، وايضاً في الثقيبة وام سفح في سهل المدام، ومولحة في المناطق الصحراوية الرملية بالقرب من مطار الشارقة الدولي. كما تم تحديد العديد من المدافن والمستوطنات في موقع اخر، وتشير التقديرات الى انه تم توقيع حوالي ١٥٠ موقعاً على الاقل عن هذه الفترة في دولة الامارات وسلطنة عمان المجاورة. ويعزى الانفجار في المستوطنات في هذه الفترة بصفة عامة الى اختراع تقنية الري بالفلاج كما ان اسلوب الزراعة باستخدام المعنقة قد يستنتج من اكتشاف نصل معلقة برونزية في موقع الرميله.

ولعله من المثير ملاحظة ان العصر الحديدي الثاني شهد ايضاً ظهور معامل حصينة، مثل الهيلي ١٤ في العين، ومحصن مضب في الفجيرة، وجبل بحايص شمال المدام، والرفاق في وادي القرق. ويمكن القول بأن الغرض من هذه الحصون والقلاء حماية المستوطنات الزراعية المرتبطة بها خاصة افالاجها الشنيعة، كما ان تركيز القوة في مثل هذه المراكز كان ظاهرة اجتماعية وسياسية هامة. وقد يستدل على السيطرة السياسية والإقتصادية من قبل اجهزة مركزية في هذا الوقت من خلال ظهور تقليد صناعة اختام عثر عليها في عدد من المواقع بمافي ذلك الرميله.

مويلحة، تل ابرق وبنت سعود

كانت هناك مؤشرات على وجود اتصالات بالمناطق الخارجية من خلال العثور على قلادة حجرية ناعمة في تل ابرق تظهر شكلًا يُذكّر بصورة الروح الشريدة التي كان يعتقد بأنها تسبب انتشار الامراض في العصر الاشوري الحديث والعصر البابلي الحديث. كما ان هناك اعتقاداً سائداً بأن هذه القلالات تحمى صاحبها من الامراض. وتتضح المؤشرات ايضاً على وجود اتصال فعلى بالعالم الخارجي من خلال قلادة اخرى على هيئة قارب في تل ابرق، وهو الآخر الوحيد الذي يصور العصر الحديدي في شبه جزيرة الامارات/عمان. وبيدو القارب مربع الشكل في المؤخرة مع زوايا حادة وشراء مثلك الشكل. ومن الواضح انه يشبه القارب الشراعي العربي المثلث الشكل الذي لم تشهد له المنطقة إلا في فترة الساسانيين، كما لم يكن معروفاً في منطقة البحر الابيض المتوسط حتى العام ٩٠٠ ميلادية. ويستنتج من ذلك ان قلادة تل ابرق كانت اقدم صورة للقارب الشراعي يتم اكتشافها حتى الآن.

لم تكن المرحلة الفرعية الثالثة والأخيرة من العصر الحديدي معروفة بصورة جيدة، على الرغم من وجود ٦ مستوطنات بمافي ذلك تل ابرق، وشسل، والرميله، والهيلي ١٧، والهيلي ٢، وند الزبة، والثقيبة، اضافة الى مدافن في وادي القرق وواحة دبا.

لا، فهذا امر آخر، لكن بالإضافة الى وجود مناطق تزخر بالحديد بالقرب من جبل الفایة، وجل املح، وجل البحيص الى الجنوب من مليحة، فان سطح الموقع نفسه تتناثر فيه بقايا قطع حديدية مما يوحي بقيام بعض صناعات صهر وسبك الحديد في المنطقة. اما لماذا لم يستخدم الحديد مبكرا فانه سيظل لغزا محيرا. وربما كانت وفرة موارد النحاس في جبال الحجر والتقليد القديم في صناعته عاملاما ساهم في عدم الاهتمام المبكر بصناعة الحديد.

فتررة الدور (واخر ما قبل الإسلام) (صفر ق.م - ٢٠٠ ميلادية)

بحلول القرن الاول قبل الميلاد توفرت مادة مكتوبة لا بأس بها، وإن كان من الصعوبة الاستفادة منها. وفي العام ٧٧ ميلادية اكمل الكاتب الروماني بلين الاصغر (٢٣-٧٩) كتابه «التاريخ الطبيعي»، ومن خلال وصفه لشعوب ومناطق جنوب شبه الجزيرة العربية اضافة الى ما شهدت به خريطة بطليموس لشبه الجزيرة العربية في القرن الثاني الميلادي، يتضح لنا ان منطقة الامارات كانت تعج بالمستوطنات والقبائل والتضاريس الطبيعية التي سجل اسماءها. أن تحديد هذه الاماكن ومطابقتها مع الواقع الاثري أمر صعب، إلا انه قيل بأن مدينة عمانة، التي اشار عدد من الكتاب السابقين الى انها كانت احد اشهر الموانئ في كارمانيا، يمكن اعتبارها تلك المستوطنة الضخمة التي تبلغ مساحتها ٤ كلم مربع تقريبا في منطقة الدور في ام القيوين. كما ان الموقع نفسه ورد ذكره، في الوقت نفسه في AES MAREMTHYRE THE ٥٧ SURPRISE، وهو نص هام يؤرخ للحركة التجارية البحرية بين الاسكندرية في مصر وبريجازا في الهند. ومهما يكن من امر، فان المخلفات الاثرية في منطقة الدور لا تدع مجالا للشك في ان هذا الموقع كان أكثر المستوطنات الساحلية اهمية في الخليج الادنى خلال القرون الميلادية الاولى.

شيدت معظم المباني في هذا الموقع من صخور ساحلية جيرية متجردة تتكون في مناطق المد والجزر الساحلية الضحلة ويمكن تكسيرها بسهولة واستخدامها كمواد بناء. وقد كشفت الحفريات وجود منازل ضخمة مكونة من عدة غرف وابراج دائيرية الشكل، بالإضافة الى منازل مكونة من غرفة واحدة. واكتسب استخدام المرمر كغطاء للنوافذ اهميته من انه يقدم اول دليل اثري على استخدام هذه المادة لهذا الغرض في شبه الجزيرة العربية. اما المدافن فكانت اما في شكل قبور بسيطة لدفن الافراد او ضخمة شبه تحت ارضية وتتضمن مقابر جماعية تتكون من غرفة تحت ارضية يتم الوصول اليها عبر درج وتعلوها قبة اشبه بالبرميل. وتغلب على الخزف الذي عثر عليه هنا الاواني الفخارية اللامعة ويرجح انه من صنع بارثيا وقد استجلب من جنوب بلاد ما بين الرافين او جنوب شرق ايران. وكانت عمانة اهم ميناء في الخليج الادنى وتمت تواصتها مع ميناء ابوالوجوس الواقع في مدخل الخليج الذي ربما كان يقع في مكان ما بالقرب من مدينة البصرة الحديثة، كما انه كان احد المنافذ البحرية الرئيسية لمملكة ميسان ENEGARAH. وبينما كانت الحركة التجارية من البحر الاحمر وعبر المحيط الهندي توفر احد





الطرق الرئيسية لحصول الرومان على منتجات الهند والشرق، وفرت حركة القوافل البرية بين تدمر (ARYMLAP) في سوريا ومدن SALSAGOLOA, AICULES و XARACHONISAPS في العراق ومنها بالبحر عبر ممر ميسان ENCARACH إلى عمانه ثم إلى الهند، طريقاً بديلاً للتجارة. ويرجح أن الطريق الآخر ربما كان السبيل الذي نفذ من خلاله الزجاج الروماني إلى منطقة الدور حوالي القرن الأول الميلادي.

لاشك أن السلطة السياسية التي يفترض المرء أنها كانت موجودة في مركز تجاري ضخم كالدور قد تركزت في القلعة التي اكتشفتها بعثة تنقيب عراقية في العام ١٩٧٣ وقد شيدت القلعة، التي يبلغ طولها ٢٠ متراً في أحد جوانبها وتحيط بها أربعة أبراج، قطر كل منها ٤ أمتار، من الصخور الساحلية وتشبه تحصينات بارثيا (PARATHIANA) المعاصرة في بلاد وادي الرافدين.

والي الجنوب من هذه القلعة يوجد معبد هام اكتشفته بعثة آثار بلجيكية، وهو عبارة عن غرفة واحدة بسيطة مربعة الشكل يبلغ طولها ٨ أمتار في أحد جوانبها مبنية من الصخور الساحلية مطلية بالجبس وتشبه بالمباني المشيدة من الحجارة المربعة. وعثر في داخلها على محروقة بخور منقوش عليها اسم «شمس» باللغة الآرامية، وتدل على أن هذا المعبد كان مكاناً مقدساً مكرساً لعبادة آلهة الشمس.

وبينما كانت الدور المستوطنة الرئيسية خلال هذه الفترة على ساحل الخليج، كانت مليحة دون شك المرائد في الداخل. ولعل من أهم الاكتشافات خلال الحفريات الأخيرة في هذا الموقع قلعة مربعة الشكل مع أبراج مربعة في أركانها، وحائط خارجي رئيسي يبلغ طوله ٥٥ متراً. إضافة إلى ذلك كان يوجد في القلعة قالب حجري لصناعة العملة المعدنية، وبما أن سلطة سك النقود كان حقاً مقصورة على السلطة الحاكمة في العالم القديم، فمن المرجح أن قلعة مليحة كانت تمثل مركز السلطة السياسية في تلك المنطقة. وقد تم اكتشاف المئات من هذه القطع النقدية في كل من مليحة والدور وكانت على غرار عملة الإسكندر الأكبر التي كانت تحمل في واجهتها الأمامية صورة رأس هرقل مرتدياً جلد أسد، وتحمل الواجهة الخلفية مجسماً جالساً على هيئة الإله اليوناني زيوس. وبينما تحمل العملة الأغريقية الأصلية في خلفيتها اسم الإسكندر الأكبر مكتوباً باللغة اليونانية، تحمل عملة مليحة والدور نقشاً باسم أبيعل الذي يمكننا الاستنتاج بأنه كان حاكماً هاماً في هذه المنطقة خلال أواخر عصر ما قبل الإسلام.

نهاية عصر ما قبل الإسلام (٢٤٠ - ٦٣٥ م)

على الرغم من الجدل الطويل حول قوة النفوذ السياسي للبارثيين (PARATHIANA) في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، إلا أنه لاشك أن خلفاءهم الساسانيين سرعان ما فرضوا ارادتهم على سكان المنطقة بعد استيلائهم على السلطة. ومع ذلك ومن الناحية الأثرية لم تتوفّر الكثير من الشواهد على وجود الساسانيين في الإمارات، وكل ما في الامر انه تم العثور على بعض



القطع المعدنية في ساحل الخليج تضمنت زوجا من العملة البرونزية غير محفوظتين بصورة جيدة من عصر اردشير وشاپور الثاني (٣٧٩-٣٠٩) في منطقة غاله وهي جزيرة في بحيرة ام القيوين. كما ثُر على قطعة نقدية فضية للملك الاخير في تل ابرق، بالإضافة الى ثمانى عشرة قطعة نقدية في الفجيرة بعضها صدرت في عصر الامبراطورين الساسانيين الاخرين هرمز الرابع (٥٩٠-٥٧٠) وخسرو الثاني (٦٢٨-٥٩٠).

وفي المناطق الداخلية نجد عدة مدافن بداخلها اسلحة من الحديد (رماح وسيوف.. الخ) بالقرب من جبل املح ALMAH تعود لفترة ما قبل الإسلام. وعثر في احد القبور على سيف مصنوع من الحديد تم تحديده بالفترة ٤٥٥-٥٨٢ ميلادية باستخدام الاشعة الكربونية، هذا بالإضافة الى هيكل شخص ومعه رمح حاد الطرف يعود تاريخه الى الفترة ٥١٣-٦٢٤ م. وفي مقبرة ثالثة بجبل املح اكتشف عتاد حربي وهيكل جمل. بيد ان من الخطأ الاعتقاد من خلال دفن الجمل بأن الوثنية العربية او الزرادشتية الناجمة عن النفوذ الساساني هي التي كانت سائدة، حيث ان المسيحية النسطورية كانت ايضا عنصرا مكونا هاما في الاعتقاد الروحي في هذه المنطقة.

في العام ٤٢٤ م حضر يوهانون اسقف مزون مجمعا كنيسيا في مرقبته MARHABA في العراق وهو المكان الذي أعلنت فيه الكنيسة النسطورية استقلالها عن انتيوش HOCANTHION. وكان هذا اول دليل مادي على نفوذ المسيحية النسطورية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، على الرغم من ان السيرة الذاتية للراهب يوحنا الذي تولى رئاسة الكنيسة النسطورية خلال الفترة ٣٤٣-٣٤٦، تشير الى انه بنى ديرا على حدود الجزيرة السوداء والتي اعتقاد بعض الدارسين للمسيحية النسطورية انها احدى الجزر الواقعة بين عمان وقطر. وفي هذا السياق يمكن الاخذ في الاعتبار جزر ساحل ابوظبي التي يمكن ان تكون مقرًا لدير يوحنا. وتعتبر الاكتشافات الاخيرة في جزيرة صير بني ياس التي كشفت عن وجود كنيسة او دير مكتمل ومطلى بالجesis المنحوت بمافي ذلك الصليب، على قدر عال من الاهمية في هذا المجال.

كانت مزون ضمن قائمة ارمنية هامة من مقاطعات الامبراطورية الساسانية الامر الذي يؤكد ان هذه المنطقة كانت تحت سيطرة الساسانيين عند بزوغ فجر الإسلام.

وقد ورد في بعض المصادر الأدبية اسم مدینتی توان ودبیا، وعلى الرغم من ان توان تم تحديدها بمنطقة العين الحالية وواحة البريمي، الا انه لم يتم تحديد موقعها الاثري على وجه الدقة نسبة لعدم اكتشاف اية آثار في هذه المنطقة من مخلفات فترة ما قبل الإسلام المعاصرة لفترة سيطرة الساسانيين. اما دبا فانها لا تزال اسما لواحة سكنية وميناء كبير على الساحل الشرقي لدولة الامارات، وما تزال آثارها التي تعود الى اواخر عصر ما قبل الاسلام تنتظر من يكتشفها، إلا أن المادة المدونة عنها متوفرة بكثره.

في كتابه «المحبر» وصف ابن حبيب مدينة دبا بأنها «إحدى مينائيين عربين يرتادهما التجار من بلاد السند والهند والصين وأيضاً اناس من الشرق والغرب». وكانت دبا تدفع ضريبة الى الجلنه بن المستكبر بمناسبة المعرض الذي يعقد سنوياً لخمس ليال اعتباراً من



اليوم الاول من شهر رجب. إن الاممية التجارية التي كانت تحظى بها مدينة دبا في ذلك الوقت، تفسر لنا اهتمام الرسول ﷺ بهذه المدينة ومخاطبة جيفر وهو من سلالة الجنده برسالة حملها ابو زيد وعمرو بن العاص في سنة ٦٣٠، يدعون فيها اهل دبا الى اعتناق الإسلام. وبعد سنوات عدة اصبحت دبا مركزا للقيط بن مالك زعيم حركة الردة التي سحقتها جيوش الخليفة ابوبكر الصديق < .

هذا وقد استمر نفوذ المسيحية في مزون لبضعة عقود بعد ظهور الإسلام، حيث حضر الاسقف ستي芬 مجمعا كنسيا في بلاد ما بين الرافدين في العام ٦٧٦م. وكان اعتناق المسيحيين للإسلام واسعا وهو ما اثبتته مجموعة رسائل الاسقف المسيحي النسطوري ايشوبيه الثالث الى الاسقف سيمون من اسقفية اردشير في ايران يتذكر فيها من اعتناق اهل مزون للإسلام. واعقب تلك الفترة غياب الاساقفة عن حضور اي مجمع كنسي للكنيسة النسطورية، ويقوم هذا كدليل على انحسار المسيحية في منطقة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية بعد مطلع القرن السابع الميلادي.

جولة في آخر الاكتشافات الاثرية

وفي العام ٦٢٢ للميلاد بزغ فجر الإسلام في الجزيرة العربية وكان أهل الإمارات وعمان من أوائل الأقوام التي اعتنقت الدين الإسلامي طوعا بعد أهل اليمن. وبالرغم من غياب المواقع الأثرية من عصر صدر الإسلام يحدثنا المؤرخون عن مدينة دبا الكائنة شمال مدينة الفجيرة حيث وقعت فيها أكبر المعارك بعد وفاة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما ويشير الدليل المادي إلى ان منطقة جميرة قرب مدينة دبا كان لها شأن كبير في عصر صدر الإسلام. فالموقع الأثري في هذه المنطقة من دبي يمثل بقايا مدينة إسلامية من العصر الأموي كانت تتحكم بطرق التجارة آنذاك. ومن مرافق هذه المدينة التي كشف عنها والمطلة على ساحل الخليج العربي بيت للحاكم وسوق تجارية صغيرة ومرافق سكنية.

ومن المدن الإسلامية الكبيرة المعروفة في الدولة كذلك مدينة جلفار الواقعة على شاطئ الخليج شمال مدينة رأس الخيمة الحالية. لقد كانت مدينة جلفار ذاتعة الصيٰب منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واشتهرت بعلاقاتها التجارية مع الصين ومناطق أخرى من شرق آسيا واستمرت كذلك حتى أفل دورها في القرن السابع عشر الميلادي.

لقد كشفت الحفائر المستمرة في هذه المدينة عن بيوت سكنية وما لا يقل عن أربعة مساجد تتعاقب فوق بعضها البعض. ومن العصور الإسلامية المتأخرة التي تعود إلى القرون القليلة الماضية هناك عدد كبير من المواقع الأثرية التي كانت مأهولة بالسكان. فاللقمي الأثرية المنتشرة على سطوح هذه المواقع الأثرية التي كانت مأهولة بالسكان تدل على انه كانت هناك أقوام تتوجل ما بين السواحل والواحات الصحاري.

وفيمما بين القرنين السابع والسابع عشر الميلاديين انطلق بحارة الامارات، مستفيدين من الخبرات الملاحية التي توارثوها عن أجدادهم، فجابوا المحيط الهندي ووصلوا بتجارتهم إلى



ممباسا في كينيا، وإلى سريلانكا وفيتنام والصين. وكانوا يبحرون بسفن الدور الخشبية الضخمة التي تمثل تلك التي مازالت تصنع حتى اليوم في البلاد.

ان البراهين على عراقة التقاليد التجارية لذلك الشعب تبرز بوضوح في موقع جلفار في رأس الخيمة، حيث تختلط بقايا الخزفيات الصينية البدعية مع قطع الفخاريات الواردة من مناطق أقرب كما ان سجلات البحارة البرتغاليين الذين كانوا أول من وصل الخليج في القرن السادس عشر تؤكد ذلك. فأخذ أولئك البحارة، وهو دوارتي بارباروس، كتب في العام ١٥١٧ ان "سكان جلفار أثرياء وملحون عظام وتجار جملة، والخليج مصدر وفير جدا للأسماك واللآلئ الصغيرة والكبيرة".

لقد كان أحمد بن ماجد واحدا من أعظم ملاحي الامارات. وقد استفاد البرتغاليون من معرفته بالطرق التجارية وأحوال الرياح في المحيط الهندي، فساروا على نهجه.

الا ان قدوم البرتغاليين كان مزدوج الآثر. فمن ناحية فتحوا المجال أمام اتصال المنطقة بأوروبا. لكنهم فعلوا ذلك بعد معارك عديدة وعبر الكثير من ارقة الدماء والدمار الذي لحق بمدينتي جلفار وخورفكان على الساحل الشرقي. وفي أوائل القرن الثامن عشر كانت جلفار مهجورة كلية، وأخذت التقاليد التجارية العريقة بالانقراض.

في أعقاب ذلك، وبينما كانت القوى الأوروبية مثل البرتغال وهولندا وبريطانيا تتنافس على السيطرة على المنطقة، أخذت قوة جديدة في الامارات تبرز تدريجيا. وكانت تلك دولة القواسم الذين مازال أحفادهم يحكمون امارة الشارقة ورأس الخيمة حتى اليوم. وقد استفاد القواسم من الخبرات البحرية العريقة المتواترة، فبنوا اسطولا يضم أكثر من ٦٠ سفينة ضخمة، وكان لديهم حوالي ٢٠ الف بحار، لكن قوتهم أخذت تشكل تحديا خطيرا للبريطانيين الذين برزوا في ذلك الوقت كقوة مسيطرة في منطقة المحيط الهندي. ولذلك كانت المواجهة بين الجانبين حتمية. وخلال العقودتين الأوليين من القرن التاسع عشر جرت سلسلة من المعارك البحرية بينهما أسفرت عن تدمير اسطول القواسم بصورة شبه كاملة وتعزيز النفوذ البريطاني في الخليج.

وقد زعم البريطانيون ان القواسم كان لهم ضلع في عمليات القرصنة وأدى ذلك الزعم إلى تسمية المنطقة "ساحل القرصنة". إلا أن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة دحض تلك المقوله بصورة قاطعة في كتابه "اسطورة القرصنة العربية في الخليج". وأنه بوضوح ان السبب الكامن وراء التدخل العسكري البريطاني هو الرغبة في السيطرة على الطرق التجارية بين الخليج والهند، وكان القواسم يسيطرون على ضفتى الخليج العربي والجزر الواقعة فيه حيث كان جزء من القواسم في جزيرتي قشم وصرى والجزء الآخر في جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى.

تمكن البريطانيون في مطلع العام ١٨٢٠ من تثبيت مرکزهم في الخليج، وأبرموا سلسلة إتفاقيات مع كل من شيوخ الامارات آنذاك. ثم عززوا تلك الإتفاقيات بمعاهدة هدنة بحرية أكسبت المنطقة اسم آخر هو "الساحل المتصالح".

وكان السلام في البحر يعني انه يمكن استغلال مصايد اللؤلؤ التي يبلغ عمرها خمسة آلاف عام، وال موجودة في مياه الخليج الأدنى، بدون مشاكل. وأدى ذلك إلى استئناف تصدير اللؤلؤ البديعي من الامارات إلى الهند، بل وحتى إلى أوروبا حيث أخذ سوقها بالازدهار. وهكذا انتعشت صناعة صيد اللؤلؤ خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فوفرت مجالاً للعمل ومصدراً للدخل.

إلا أن الحرب العالمية الأولى وجهت لتلك الصناعة التي جلبـت الثروة لسكان الامارات مدة تزيد على ٤٠٠ عام، ضربة قاسية. وجاءت نهايتها بعد ذلك كنتيجة حتمية لأمررين هما الكساد الاقتصادي العالمي في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينيات من هذا القرن، واحتراز اليابان طريقة لإنتاج اللؤلؤ صناعياً. وفي الوقت الحاضر ما زالت تقوم بعض عمليات صيد اللؤلؤ كمهنة تراثية أكثر منها للتجارة.

تطورت الامارات بعد ذلك ببطء خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على الرغم من انتهاء مرحلة الحروب البحرية المدمرة، وذلك نتيجة لانعدام الموارد الإقتصادية الحقيقة. وكان من أعظم شخصياتها في تلك الفترة الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان جدُّ رئيس الدولة الحالي صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الذي حكم أبوظبي أكثر من ٥٠ عاماً، بين ١٨٥٥ و ١٩٠٩ وكان يلقب بـ "زايد الكبير".

كانت تلك الفترة أيضاً حافلة بالتغييرات السياسية. فمنذ أوائل الخمسينيات كان حكام الامارات السبع يتلقون في إطار "مجلس الدول المتصالحة". وفي السادس من أغسطس ١٩٦٦ تسلم صاحب السمو الشيخ زايد بن نهيان مقايد الحكم في امارة أبوظبي.

ويمثل هذا التاريخ علامة بارزة في حياة هذه المنطقة إذ أنه يشكل البداية الحقيقة للنهضة الحديثة التي شهدتها الآن والتي توجت بقيام دولة الامارات في الثاني من ديسمبر ١٩٧١ وبالسياسة الحكيمية لصاحب السمو الشيخ زايد الذي انطلق من ايمان راسخ بتسخير الثروة لخير البلاد وأبنائها وسعادتهم وتوفير الحياة الكريمة لهم. وفي العام ١٩٦٨، عندما أعلن البريطانيون أنهم ينونون مغادرة الخليج بحلول العام ١٩٧١، شرع الحكام تحت قيادة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وصاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم في إقامة الاتحاد. تأسست دولة الامارات العربية المتحدة في العام ١٩٧١، وشهدت منذ ذلك الحين تطبيق برنامج تنمية ضخم تغذىه الواردات النفطية ويستهدي ببعد نظر قادتها. واليوم، بعد مرور ثلاثة عقود من الزمن أصبحت دولة الامارات تمتاز بالمرافق المتقدمة العصرية دون أن تتخلى عن تراثها وتاريخها العريقين، مما جعل منها قبلة للزوار القادمين من كل أرجاء المعمورة.

ان هذا الاستعراض السريع للماضي العريق لدولة الامارات العربية المتحدة لدليل على أصلـة هذا الماضي الذي كان قد بدأ قبل خمسة آلاف عام على الأقل. فتواصلـه عبر جميع هذه الحقب الزمنية مروراً بالعصور المبكرة منها والوسـطـية والحديثـة لـدـليل آخر على عراقة هذا الماضي. وما وصلـتـ إليه هذه الدولة الفتـية التي لم يتجاوزـ عمرـها ثلاثة عقود من درجة في الرقي والتـطـور دون أن تفقدـ أصلـة ماضـيها وتضـيـعـ تراثـها لـدـليل على حـكـمةـ قـائـهاـ صـاحـبـ السـموـ الشـيخـ زـاـيدـ بنـ سـلـطـانـ آلـ نـهـيـانـ الذـيـ قالـ "منـ لـيـسـ لـهـ مـاضـ لاـ حـاضـرـ لـهـ وـلاـ مـسـتـقـبـ".